الفصل الثاني

نماذج من النساء في عهد النبوّة

لقد سطّرت النساء ملاحم من البطولات ما تزال ناصعة في سماء المجد سراجاً وضياءً ونوراً لكلّ نساء العالم ، ليتتلمذنَ على أيدي هؤلاء النساء اللواتي كُنَّ مع رسول الله ﷺ جنباً إلى جنبٍ مع الرجال ، بل وإنَّ الكثيرات منهنَّ فقنَ الرجال بسالة وتضحية في سبيل الإسلام ، وليس المقام في هـٰذا الفصل جمع قصص كل النساء اللواتي كُنَّ أعلاماً في سماء الدعوة الإسلامية والجهاد ، بل سأورد نماذج وعيّنات منهنَّ ليطّلع القارئ على صور من حياتهنَّ ، ثمّ يُقارن بين ما كانت عليه أولئك النساء وما هو واقع النساء اليوم في عالمنا المعاصر ، وإني لا أعتب على نساء الغرب والشرق الكافر؛ لأنه ليس بعد الكفر ذنب ، وإنما العتب كلّ العتب بل الألم والحسرة على نساء المسلمين اللواتي يعتقدنَ بأنفسهنَّ أنهنَّ متقدّمات باسلات قدَّمنَ للأمّة وللمجتمع خيراً كثيراً ، مع العلم بأنّ الغالبية هي أبعد ما تكون عن هـٰذا النموذج النبيل ، فما موقع الغراب أمام الطاووس في سلّم الجمال؟! .

ولكن ليس من العجيب أو الغريب أن تعتقد نسوة الضلالة والفساد في أيامنا هـٰذه بأنفسهنَّ نجاحاً ونبلاً وسموّاً وبسالة؛ لأنك إذا أمعنت النظر فيمن يقود التيار الفكري النسائي وجدت أنهم خنازير وكلاب الغرب والشرق ، وصدق القائل:

إذا كـــان الغـــراب دليـــل قـــومٍ يمـــرّ بهـــم علـــى جِيَـــفِ الكـــلابِ

فحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولتعلم هـٰذه المرأة التي اتّخذت من (لينين) إماماً ورسولاً ، واتّخذت من (جورج بوش) قدوة ومثلاً ، وجعلت المخنّث (مايكل

جاكسون) قدوة وفخراً ، أنها ستكون في عهد قريب جثّة هامدة تحت التراب في بيت الدود تتعفّن وتفوح منها روائح لا يصبر على استنشاقها الكلاب!!. ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وإنما أقصد بهذا الوصف الذي وصفت به النساء اللواتي يتبجّحنَ ويتبرّجنَ ويرتكبنَ الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ثم يقمنَ بكلّ وقاحة وبصوتٍ عالٍ يجهر بالفجور وينادين: إننا على صواب وأما أنتم فرجعيّون متخلّفون ، تريدون أن إلى تعودوا بنا القرون الوسطى ، ولو وَعَت هٰذه الجاهلة ما تعني القرون الوسطى بالنسبة إلى الأمّة العربية والإسلامية لعَلِمَت أنَّ الجيوش الإسلامية كانت مهيمنة من حدود الصين شرقاً إلى إسبانيا وجنوب أوروبة فإفريقية الشمالية والوسطى حتّى دول شرقي أوروبة ، هٰذا هو واقع الأمة الإسلامية في القرون الوسطى ، فعلى هٰذه المتبجّحة الجاهلة الوقحة أن تدرس التاريخ قليلاً؛ لتعلم أنّ القرون الوسطى إنما كانت عصر قوّة وشرف وعلم للأمّة العربية والإسلامية ، وأنها كانت عصور ظلام دامس وتخلّف في أوروبة ودول الكفر بأسرها.

وأما إذا أرادت أن تتفاخر بالعصور الحديثة والمعاصرة فلتعلم أنّ العصور الحديثة كانت فيها الأمة الإسلامية ـ وقلبها الوطن العربي ـ خاضعةً للاحتلال والاستعمار من قِبَل الفرنسيين والبريطانيين والإيطاليين والإسبان والبرتغاليين ، وكان هذا الوطن يتخبّط في رجعيّة وتخلّف وذلّ وأي ذلّ ، وقد امتدّ هٰذا الواقع حتّى العهد المعاصر؛ فإننا نرى العراق تحت الاحتلال الأمريكي المباشر ، ونرى فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني المباشر ، ونرى العالم العربي والإسلامي كلّه راكعاً ساجداً للصليبيّة والصهيونية العالمية مُرغماً ذليلاً لا يملك قطرة من الكرامة إلاّ من رَحِمَ ربّي ، وبذلك يتبيّن لك مدى جهل هٰذه المتبجّحة الوقحة التي تتفاخر بسقوطها وعريّها وفجورها وجهلها أيضاً ، مدّعية العلم وبينها وبين العلم كما بين الثرى والثريا!!.

ليتنا نعود إلى العصور الوسطى ، ليتنا نعود إلى المجد والكرامة

والكبرياء ، ألا تعلم هـٰذه الساقطة وأمثالها من المتبجّحات أنَّ المؤرخين دوّنوا بداية القرون الوسطى بسقوط القسطنطينيّة[1]؟ .

ومن الذي أسقط القسطنطينيّة؟ إنهم المسلمون بقيادة قائد عظيم مسلم متبتّل راهب في الليل فارس في النهار ، إنّ القرون الوسطى التي تنظر إليها هـٰذه الجاهلة نظرة سخرية واستخفاف ، كانت قرون العزّ والمجد للأمة العربية والإسلامية ، وصدق أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه حينما قال: (نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزّة بغيره أذلّنا الله)[2] .

وحبّذا أن نتلمّس في ماضينا العزّة والكرامة والشرف ، ونعود إلى ديننا ونعانق كتاب ربّنا وسنّة نبيّنا ﷺ ، ونتّخذ من خديجة بنت خويلد وعائشة بنت أبي بكر وسميّة أمّ عمّار ونسيبة وأمّ حرام رضي الله عنهنَّ جميعاً نماذج للمرأة المسلمة ، ودرباً وحيداً لاستعادة الشرف السليب والكرامة المسحوقة تحت الأقدام ، وإليك نماذج من هؤلاء النسوة العظيمات مع بعض المواقف التي سطّرها لهن التاريخ ، والتي ستبقى شامخة راسخة عزيزة ترفرف في سماء المجد والكبرياء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ويشمل الفصل ستة مباحث:

المبحث الأول: خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

المبحث الثاني: أم شريك رضي الله عنها .

المبحث الثالث: أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها .

المبحث الرابع: نسيبة بنت كعب (أم عمارة) رضي الله عنها .

المبحث الخامس: الرميصاء (أم سليم) رضي الله عنها .

المبحث السادس: أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها .

* * *

---

(١) القسطنطينية ، هي عاصمة الدولة الرومانية في تركيا أثناء المدّ الروماني على تركيا والبلاد العربية.

(٢) التاريخ للطبري: ج٤ ـ ص: ٣٨٠ وما بعدها.

المبحث الأول
خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها من أشراف العرب ، نبلاً وأصالةً وحسباً ونسباً وعفّةً ، وقد كانت سمعت بعطر سيرة رسول الله ﷺ في مكة المكرّمة قبل البعثة ، وقد علمت بأنه ملقّب بين قومه بالصادق الأمين ، وكانت ذات ثراء عظيم ، فكانت بضائعها تُعادل بضائع قريش بأسرها ، وكانت تستأجر الرجال مضارَبَةً[1] ؛ ليتّجروا في مالها ، فرغبت رضي الله عنها بأن تجعل على تجارتها ذلك الصادق الأمين محمّداً ﷺ ، وعرضت عليه ذلك الأمر وقَبِل وخرج ببضاعتها إلى الشام؛ ليتّجر بها ، ووضعت تحت يديه غلاماً لها يُدعى (ميسرة).

وعندما توجّهوا إلى الشام نزل رسول الله ﷺ تحت شجرة ، وكان بالقرب منها راهبٌ فقال الراهب لميسرة: من هـٰذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة؟ قال: إنما هو رجل من قريش من أهل الحرم ، قال الراهب: والله ما نزل تحت هـٰذه الشجرة إلاّ نبيّ ، ولقد لاحظ ميسرة والراهب أنَّ الشجرة قد أخفضت من أغصانها لتُظلّل النبيّ ﷺ ، فازداد الأمر في نفس ميسرة إعظاماً وإكباراً للرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان ميسرة يُلاحظ أنه وعند اشتداد الحرّ والشمس يُظَلَّلُ رسول الله ﷺ بملكين ، وعندما عاد ميسرة إلى خديجة رضي الله عنها قصّ عليها ذلك ، فعلمت أنَّ هـٰذا الرجل له شأن ، وكانت حازمة لبيبة شريفة ، فعرضت عليه الزواج فقَبِلَ وتزوّجها[2].

وعندما بدأ نزول الوحي على رسول الله ﷺ أثناء خلوته في غار حراء رأى

---

(١) المضاربة: هو عقد من عقود الشركات يُقسّم فيه الربح بين صاحب المال وباذل الجهد.

(٢) البداية والنهاية: لابن كثير ـ ج٢ ـ ص: ٢٥٥.

جبريل عليه السلام فقال له: اقرأ ، فقال: ما أنا بقارئ ، فغطّه[1] الملك غطّةً قويةً حتّى بلغ منه الجهد ، ثمّ قال له: اقرأ ، قال: ما أنا بقارئ ، فغطّه غطّةً قويةً حتّى بلغ منه الجهد ، ثم قال له: اقرأ ، فقال: ما أنا بقارئ ، فغطّه غطّة قويةً حتّى بلغ منه الجهد ، ثمّ قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

فنزل ﷺ يرتجف ذعراً ورعباً فدخل على خديجة فقال: زمّلوني زمّلوني ، فزمّلته رضي الله عنها وألقت عليه الأغطية وهدّأت من روعِهِ وشدّت من عزمه ، فأخبرها ما حدث له ، وقال: يا خديجة ، والله لقد خشيت على نفسي ، فقالت هـٰذه المرأة العظيمة: كلاّ والله لا يخذلك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتَقري الضيف وتحمل الكَلَّ (المحتاج) وتُكسب المعدوم وتُعين على النوائب ، ثمّ انطلقت برسول الله ﷺ إلى (ورقة بن نوفل) وكان ابن عمّ لها ، وكان على الحنيفية السمحاء ، قد درس التوراة ودرس الإنجيل ، وهو على علم واسع وعريض بالكتب السماويّة ، وذُكِرَ أنه كان قد تنصّر ، وكان شيخاً كبيراً قد ذهب بصره ، فقالت خديجة: يا ابن العمّ ، اسمع من ابن أخيك ، فقال: قُل يا ابن أخي ، فقصّ عليه ما حدث معه ، فقال ورقة: والله هـٰذا الناموس[2] الذي كان ينزل على موسى عليه السلام ، ياليتني فيها جذعاً[3] ، ليتني أكون حيّا إذ يُخرجك قومك ، فقال عليه الصلاة والسلام: أمُخرجيَّ هم؟ فقال: نعم ، والله ما أتى أحد بمثل ما جئت به إلاَّ عودي ، والله إن يدركني يومك لأنصرنّك نصراً مؤزّراً ، ثمّ ما لبث (ورقة بن نوفل) أن مات[4].

وقد فَتَرَ الوحي عن رسول الله ﷺ فأصاب النبيَّ عليه الصلاة والسلام همٌّ كبير وحزن عظيم لذلك ، وكان يخرج إلى الجبال ، يريد أن يهوي بنفسه ،

---

(١) عطّه: أي ضمّه.

(٢) الناموس: الوحي جبريل عليه السلام.

(٣) جذعا: أي: شاباً.

(٤) البداية والنهاية: لابن كثير ـ ج٢ ـ ص: ٣٣٣.

فكان جبريل عليه السلام يتبدّى له ويقول له: يا محمّد، إنك رسول الله حقاً، وقد أخرج البخاري في ذلك ما يلي:

ـ (ثم فتَر الوحي حتّى حزن رسول الله ﷺ ـ فيما بلغنا ـ حزناً غدا به مراراً كي يتردّى من رؤوس شواهق الجبال، وكلما أوفى بذروة جبل وكاد يُلقي نفسه تبدّى له جبرائيل وقال: يا محمّد، إنك رسول الله حقاً، فيسكن بذلك وتقرّ عينه، فإن طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإن أوفى بذروة جبل تبدّى له جبرائيل عليه السلام فقال له مثل ذلك)[1].

وكانت خديجة رضي الله عنها أوّل من يُهدّئ رسول الله ﷺ ويشدّ من أزره ويُطمئنه، وتقول له دوماً: إنّ الله لن يُضيّعك، وهي أوّل من آمن به، وصدّق برسالته ونافح عن الرسالة الإسلامية بماله وجاهه ونفوذه، وكانت رضي الله عنها شديدة اللبابة والفهم، فقالت مرّة لرسول الله ﷺ: إذا رأيت ما ترى (وتقصد الملاك جبريل عليه السلام) فأخبرني، فقال لها ﷺ: إني أراه الآن، فقالت: اجلس على فخذي الأيمن، فجلس، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: تحوّل إلى فخذي الأيسر، فتحوّل، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: إذن ادخل في درعي، وفي رواية: كشفت عن شعرها فقالت له: هل تراه الآن؟ قال: لا، قالت: أبشِرْ يا رسول الله فإنَّ الذي يأتيك ملاك وليس بشيطان، ولو كان شيطاناً لما تعدَّى[2]؟.

وهـٰذا كلام دقيق؛ لأنّ الشياطين لا تتجافى عن العورات، أما الملائكة فهي تمتلك من الحياء والاستقامة الشيء الكثير فهي تتجافى عن العورات.

فقد كان لخديجة رضي الله عنها فضلٌ عظيمٌ في دعم الإسلام وتثبيت المصطفى ﷺ، وقد ثبت أنَّ رسول الله ﷺ قال: «بشّروا خديجة ببيت في الجنّة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»[3].

---

(١) صحيح البخاري ـ ج١ ـ برقم ٦٩٨٢.
(٢) المرجع السابق.
(٣) صحيح البخاري: ج١ ـ برقم ١٦٩٩.

وقد جاء أنه نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ وهو في مكّة ، فضرب الأرض فنبعت عين ماء من زمزم ، فتوضأ جبريل عليه الصلاة والسلام وتوضأ رسول الله ﷺ ، وصلّوا سوياً ركعتين بأربع سجدات ، وسُرَّ بذلك ﷺ سروراً عظيماً ، فأتى إلى خديجة رضي الله عنها وأخذ بيدها إلى موضع العين فتوضأ وإياها ثمّ صلّيا سوية[1].

وهـٰذا يُبرز مدى التصاق روح المصطفى ﷺ بروح خديجة رضي الله عنها ، ومدى حبّه لها وتعلّقه بها ، وفضلها في الإسلام ، فهي أوّل من صلّى مع رسول الله ﷺ بعد أن صلّى عليه الصلاة والسلام مع جبريل عليه السلام ، ولك أن تُقدّر تصديق خديجة رضي الله عنها بنبوّة سيدنا محمّد ﷺ في ظلّ قوم مشركين يعبدون الأوثان وهم على استعداد لقتل كل من يُخالف ملّتهم ومذهبهم ، وقد جاء في «البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

ـ (أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، هـٰذه خديجة قد أتت ، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربّها ومني ، وبشّرها ببيت في الجنّة من قصب لا صخب فيه ولا نصب)[2].

والقصب هو اللؤلؤ ، فانظر إلى عظمة هـٰذه المرأة ، بحيث إنّ الله عزّ وجلّ أرسل جبريل عليه السلام ليُقرئها السلام ، فتستطيع من خلال هـٰذه الصورة أن تُقدّر مدى قيمة هـٰذه المرأة عند الله عزّ وجلّ وعند رسوله ﷺ ، وقيل: إنّ البيت الذي بُشِّرَت فيه لا صخب فيه ولا نصب؛ لكونها لم ترفع صوتها على رسول الله ﷺ قط ، ولم تؤذه بكلمة واحدة[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

ـ (ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة ، هلكت قبل أن يتزوّجني ، لما كنت أسمعه يذكرها ، وأمره الله أن يُبشّرها ببيت من قصب ،

---

(١) البداية والنهاية: لابن كثير ج٢ ـ ص: ٢٦٠ وما بعدها.
(٢) صحيح البخاري: ج٢ ـ برقم ٣٦٠٩.
(٣) البداية والنهاية: لابن كثير ج٢ ـ ص: ٤٩٧.

وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن)[1].

وورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

ـ (استأذنَتْ هالة بنت خويلد، أخت خديجة، على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك، فقال: (اللهم هالة) قالت: فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها؟! قال: لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، لقد كانت وكانت، وكان لي منها الولد)[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

ـ (ذكر رسول الله ﷺ يوماً خديجة، فأطنب في الثناء عليها، فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة، فقلت: لقد أعقبك يا رسول الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين! قالت: فتغيّر وجه رسول الله ﷺ تغيّراً لم أره عند شيء قط إلاّ عند نزول الوحي أو عند المخيلة حتّى يعلم رحمة أو عذاب)[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

ـ (كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله عزّ وجلّ بها خيراً منها! قال: ما أبدلني الله عزّ وجلّ خيراً منها؛ قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذّبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عزّ وجلّ ولدها إذ حرمني أولاد النساء)[4].

وقال ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلاّ آسية امرأة

---

(١) صحيح البخاري: ج٢ ـ برقم ٣٦٠٥.
(٢) صحيح البخاري: ج٢ ـ برقم ٣٦١٠ ـ وأخرجه مسلم: ج٤ ـ برقم ٢٤٣٧.
(٣) مسند الإمام أحمد: ج٩ ـ برقم ٢٥٢٢٦.
(٤) مسند الإمام أحمد: ج٦ ـ برقم ٢٤٩٠٨.

فرعون ، ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[1].

وقد ورد عن عفيف الكندي قال:

ـ (هبطت مكّة لأبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها ، فنزلت عند العبّاس بن عبد المطّلب ، وأنا أمام الكعبة قَدِمَ شابٌّ فكبَّر وانتصب ، ثمّ تلاهُ غلام فوقف عن يمينه ، ثمّ جاءت امرأة فوقفت من ورائه ، فركع الشابّ فركع الغلام والمرأة ، ثمّ سجد الشابّ فسجدت المرأة والغلام ، فقلت: يا عباس ، إني أرى أمراً عظيماً ، فقال: أمر عظيم ، هل تدري من هـٰذا الشابّ؟ قلت: لا ، قال: هـٰذا الشابّ محمّد بن عبد الله ابن عبد المطّلب ابن أخي ، قال: هل تدري من هـٰذا الغلام؟ قلت: لا ، قال: هـٰذا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن أخي ، فهل تدري من هـٰذه المرأة؟ قلت: لا ، قال: هـٰذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي هـٰذا ، إنّ ابن أخي هـٰذا حدّثه ربّه الذي هو ربّ السماوات والأرض أمره بهـٰذه الدين الذي هو عليه ، فهو عليه ، ولا والله ما علمت على ظهر الأرض كلها على هـٰذا الدين إلاّ هؤلاء الثلاثة ، قال عفيف: فتمنّيت بعدُ أني كنت رابعهم)[2].

فكانت خديجة رضي الله عنها ذات مكانة عظيمة في قلب رسول الله ﷺ ، وكان عليه الصلاة والسلام متمسّكاً بذكراها حتّى أنَّ جميع نسائه لم يدانوها في القدر والحب عند رسول الله ﷺ ، وكانت ـ كما تقدّم ـ ظهيرة لرسول الله ﷺ تُصلّي معه بين قبيلة تُعاديهم أشدّ العداء ، وتتمنّى لو أنها تستطيع أن تمزّقهم ، وقد توفّيت رضي الله عنها في شهر رمضان ونزل رسول الله ﷺ في حفرتها يُمهّدها لها ، وحزن عليها حزناً شديداً ، وكانت وفاتها قبل هجرته ﷺ بثلاث سنوات ، وفي العام الذي توفّيَ فيه أبو طالب ، وقد شقّت وفاتها على رسول الله ﷺ وأورثته حزناً كبيراً ، وسُمّيَ ذلك العام بعام الحزن[3].

---

(١) صحيح البخاري: ج٢ ـ برقم ٣٢٣٠.
(٢) الطبقات الكبرى: لابن سعد ج٨ ـ ص: ١٥ ـ ١٦.
(٣) المرجع السابق.

فهـذا نموذج من أشرف نساء الأرض خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها ، وهي إحدى نساء العصر النبوي ، وفي الفترة المكيّة قبل هجرته ﷺ ، وقد تقدّم فضلها وما جادت به على الأمّة الإسلاميّة في مظاهرتها للرسول عليه الصلاة والسلام في مالها ونفسها وجاهها وتثبيته وتمكينه ، وأرجو أن تتّخذ نساؤنا اليوم من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها قدوة ، وأرجو من نسائنا وفتياتنا أن يركلنَ بأقدامهنَّ قدواتهنَّ القذرة من المغنّيات والساقطات والراقصات ومن جنّدنَ أنفسهنَّ ليكنَّ صدىً لصوت الشيطان .

* * *

المبحث الثاني
أم شريك رضي الله عنها

هـٰذه المرأة التي آمنت بنبوّة محمد ﷺ بالرغم من كفر قومها بنبوّته ، وعانت في سبيل إيمانها هـٰذا معاناة كبيرة ، وتعرضت لأصناف وأنواع وألوان من العذاب ، وكان على يديها إيمان جميع قومها ، نتيجة لإصرارها وثباتها على الحقّ ولكرامة إلٰهية منحها الله إياها ، وكان ذلك عندما أسلم زوجها (أبو شريك الدوسي) وهاجر مع أبي هريرة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ ، فجاء أهل زوجها فقالوا لها: لعلّك آمنت بمحمّد ﷺ كما آمن به زوجك ، وأنك على دينه؟ .

فقالت: أي والله ، إني على دينه ، فقالوا: إذن فوالله لنردنّك ولنفتننك عن هـٰذا الدين ، ثم أخذوها وارتحلوا بها إلى مكان غير المكان الذي كانت فيه ، تقول أم شريك:

(فحملوني على جمل من شرّ جمالهم خُصّص لحمل الأمتعة لا لحمل البشر ، ثم أخذوا يطعمونني الخبز والعسل ، ولا يُقرّبون إليّ قطرة ماء واحدة ، حتّى إذا حميَت الرمضاء وتسلّطت الشمس بأشعتها الحارقة على الأرض ، وطرحوني فيها ومنعوا عني الماء ، حتّى فقدت سمعي وبصري ونطقي (كناية عن الإغماء) وفعلوا بي ذلك ثلاثة أيام ، فقالوا لي: اتركي ما أنت عليه من هـٰذا الدين ، فوالله ما وعيتُ ما يقولون إلاّ بعد تكرار كثير ، ولم أستطع النطق ، فأشرت بسبّابتي إلى السماء كناية عن تمسّكي بالتوحيد ، وأنا على ذلك شعرت ببرد دلوٍ على صدري ، فحملت الدلو وشربت منه شربة ، ثمّ نظرت إليه فوجدته معلّقاً بين السماء والأرض ، فنزل إليّ ثانية فشربت منه ، ثمّ ارتفع فنظرت فوجدته معلّقاً بين السماء والأرض ، ثمّ نزل إليّ

ثالثة فشربت وأكببت الماء على رأسي وعلى جسدي وعلى ثيابي ، فخرجوا عليّ فنظروا فوجدوني قد رويتُ وقد تبلّلت ثيابي ورأسي بالمياه ، فقالوا: من أين لك هـٰذا يا عدوة الله؟ قالت: والله إنكم أنتم أعداء الله الذين لا تتّبعون دين محمّد ﷺ ، وأما هـٰذا الماء فهو رزق قد ساقه الله لي ، فأسرعوا إلى قربهم التي ملؤها ماءً فوجودها على حالها لم تنقص قطرة واحدة ، فعادوا إليها وقالوا: نشهد أنّ ربّكِ هو ربّنا ، وأنَّ الذي رزقكِ في هـٰذا الموضع بعدما فعلنا بك ما فعلنا هو ربُّ محمّد وهو الذي شرَعَ الإسلام ، فأسلموا وهاجروا جميعاً إلى رسول الله ﷺ)[1].

وتقول أم شريك: وكانوا يعرفون فضلي عليهم وما رزقني الله به أمام أعينهم ، وقد وهبت أم شريك رضي الله عنها نفسها للنبي ﷺ ، وقد اختلف الناس فمنهم من قال: بأنها تُعتبر من زوجاته ، ومنهم من قال: بأنها لا تُعتبر من زوجاته[2].

وقد رَوَت أم شريك أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ ، وليس المقام هنا لذكر كلّ قصّة أم شريك رضي الله عنها ، بل هو مجرّد عرض نماذج وصور من واقع النساء الصحابيّات في العصر النبوي.

فانظر إلى هـٰذه المرأة الفاضلة التي أسلمت وأعلنت إسلامها ، مع العلم أنه يُباح لها ـ تبعاً لأحكام الشريعة الإسلامية ـ أن تكتم إيمانها لتتجنّب التعرّض للفتنة والإيذاء ، ومع ذلك فلم تأخذ هـٰذه المرأة بهـذه الرخصة ، فأعلنت إسلامها على الملأ ، وتعرّضت للعذاب ، ولعلّه من أشنع أنواع العذاب منع الماء عن العطشى ، وقذفهم في الرمضاء في حرّ الشمس الحارقة ، إلى أن وصل الأمر إلى درجة الإغماء ، فلم تعد ترى ببصرها ولم تعد تسمع بأذنيها ، ولم تعد قادرة على الحركة أو الكلام ، وكان ذلك العذاب كلّه ليُرفع بكلمة واحدة لم تتفوّه بها رضي الله عنها ، بل أومأت بإصبعها إلى السماء تتحدّى

---

(١) الطبقات الكبرى: لابن سعد ج٨ ـ ص: ١٥٤.
(٢) المرجع السابق.

هؤلاء الكفرة وتُعلن عقيدة التوحيد ، وعلم الله عزّ وجلّ منها إخلاصاً فأجرى على يديها خارقة كانت كرامة لها تُذكر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وكانت سبباً في نجاة قومها من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان.

ولعلّ علماءنا اليوم يُناضلون على المنابر وفي المحاضرات والمؤلّفات وفي شتّى مجالات الدعوة؛ ليُقنعوا النساء المسلمات بألا يتبرّجنَ ويُظهرنَ عوراتهنَّ وكثيراً ما يفشلونَ في ذلك ، فانظر إلى مقارنة بسيطة بين ما كانت عليه أم شريك رضي الله عنها وأمثالها من الصحابيّات الجليلات ، وما غدا عليه أمر النساء في واقعنا الحالي! . . وكان من الكرامات التي أكرمها الله بها أنه كان لها عكّة[1] وكان خالياً فنفخت فيه رضي الله عنها وعلّقته في الشمس فامتلأ سمناً ، فكان الناس يقولون: من آيات الله عزَّ وجل عكّة أم شريك[2].

ورُوي أنه كان لأم شريك رضي الله عنها عكٌّ تهدي به سمناً إلى رسول الله ﷺ ، وكان يوماً فارغاً فجاء أبناؤها يطلبون منها سمناً ، فجاءت إليه فوجدته يسيل سمناً فصبّت لهم منه ، ثمّ أدركته بعد حين فوجدت فيه سمناً فأفرغته ، وقالت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال لها: أأفرغته كلّه؟ قالت: نعم ، قال: إن لم تفعلي لمكث عندك طويلاً[3].

* * *

(١) عكة: وعاء يوضع فيه السمن.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق: ص: ١٥٥ ـ ١٥٦.

المبحث الثالث

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها

إنَّ أسماء رضي الله عنها من الصحابيّات الكريمات اللواتي كان لهنَّ فضل كبير في الإسلام ، وكانت من أتقى الناس وأشدّهم ورعاً ، وأكثرهم إخلاصاً لرسول الله ﷺ ، حتّى أنها غامرت بحياتها في سبيل حماية المصطفى ﷺ ، فإذا كان عليٌّ كرّم الله وجهه قد بات في فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة فإنَّ أسماء رضي الله عنها كانت تسير يومياً إلى الغار الذي اختبأ فيه الرسول ﷺ وصاحبه ، حاملة لهم الماء والطعام معرّضة نفسها للهلاك والقتل من مجرمي قريش الذين لا يعرفون ذمّة ، وقد بلغت قلوبهم قسوة الحجارة التي يعبدونها ويسجدون لها.

ومن ذلك أنّ أسماء رضي الله عنها كانت قد شقّت نطاقها إلى قسمين: قسم تضع فيه طعام رسول الله ﷺ ، وقسم تضع فيه شرابه ﷺ ، وتتلفّح وتسير في البيداء في حرّ الرمضاء في وقت لا يسير فيه أحد من أهل قريش خشية على نفسه من أذى الشمس ، مع العلم أنّ عيون قريش تترقّبها ، ولا سيّما أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام قد هاجر برفقة أبيها الصديق ، فكانت تسير على قدميها الشريفتين لمسافة طويلة جداً على رمال الصحراء الحارّة ، معرّضة نفسها للقتل في حال علم مشركو قريش بأمرها ، وكانت رضي الله عنها لا تخشى على نفسها الموت ، وإنما كانت تخشى على رسول الله ﷺ بلوغ المشركين مكانه ، واستمرّت على ذلك إلى أن غادر رسول الله ﷺ وصاحبه مكّة ، ولأجل هٰذا سُمّيَت بذات النطاقين.

ويُروى أنَّ أبا جهل ـ لعنة الله عليه ـ أتى إليها يسألها عن أبيها ، فلما أنكرت علمها بمكانه لطمها (شلّ الله يده) لطمة سقطت منها على الأرض وتناثر عنها

قرطها[1] ، ومع إجرام هـٰذا المجرم لم تتكلّم رضي الله عنها ولم تَبُح بمكان رسول الله ﷺ والصدّيق.

ورُوي أنَّ جدّها (أبا قحافة) دخل عليها وكان شيخاً قد ذهب بصره ، فقال: لعلّ أبا بكر قد فَجَعَكُم في ماله كما فَجَعَكُم في نفسه؟. فأتت بحصى ثمّ وضعت عليه قطعة من القماش ، وجاءت بالشيخ فمرّرت يده على الحصى وقالت له: لا يا جدّي بل ترك لنا الكثير من المال ، فعندما تلمّسه قال: إن كان ترك كلّ هـٰذا فقد صنع خيراً ، وتقول رضي الله عنها: والله ما ترك شيئاً ، وإنما فعلت ذلك لأسكّن به الشيخ[2].

فيتبيّن لك من هـٰذين الموقفين حرصها على استمرار الدعوة الإسلامية ، وتضحيتها بنفسها ، فقد كان نقل الطعام في ظلّ هـٰذه الأجواء عملية من العمليات الاستشهادية ، وانظر صبرها على إيذاء هـٰذا الجاهل (أبي جهل لعنة الله عليه) وسياستها الحكيمة مع جدّها لتسكين روعه ، وصبرها على شدّة العيش؛ لأنَّ أبا بكر رضي الله عنه لم يترك في الدار درهماً واحداً.

وكان أهل الشام عندما حاصروا عبد الله بن الزبير في الحرم المكّي الشريف يُعيّرونه ويُنادونه: يا ابن ذات النطاقين ، فقالت أسماء رضي الله عنها لابنها: أعيّروك بذلك؟.

قال: نعم ، قالت: والله إنه لشرف؛ لقد كان لي نطاق فشققته نصفين كنت أضع فيه طعام رسول الله ﷺ وشرابه[3]. وكانت رضي الله عنها امرأة مكافحة في سبيل أسرتها ، فقد قالت:

تزوّجني الزبير ولم يكن له مال ولا مملوك سوى فرسه ، قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته ، وأسوسه وأدقّ النوى الناضحة ، وأسقيه الماء وأنظّف مكانه ، وقالت: كنت أنقل النوى وأحمل على رأسي من أرض الزبير

---

(١) القرط: هو الحلق الذي يوضع في الآذان للزينة.
(٢) البداية والنهاية: ج٢ ـ ص: ٥٤٨.
(٣) الطبقات الكبرى: لابن سعد ـ ص: ٢٤٨.

التي أقطعها رسول الله ﷺ له ، وكانت على بُعد أميال كثيرة. ومرّ بها يوماً رسول الله ﷺ ومعه ركبٌ من الرجال ، فأشفق عليها وهي تحمل النوى على رأسها ، فأبطأ من أجل أن يحملها معه ، فذكرت غيرة زوجها الزبير رضي الله عنه ، وخجلت أن تسير بين الرجال ، فعلم بذلك الرسول ﷺ فتركها ومضى في سبيله ، فقصّت ذلك لزوجها الزبير. لقد كانت حريصة على مشاعر زوجها رضي الله عنه وعنها ، بالإضافة إلى تحمّلها الكثير من الأعباء ، سواء الأعباء المنزلية أو غيرها من الأعباء الخارجية التي يقوم بحملها عادة الرجال ، ولم تشكو يوماً ذلك ولم تتململ ، مع العلم أنها أخت عائشة زوجة رسول الله ﷺ ، وابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ ، واستمرّت على هـٰذا الحال حتّى أهدى إليها أبوها الصدّيق عبداً ، فكفاها مؤونة فرس الزبير ، فقالت: والله فكأنه بهديته هـٰذه أعتقني[1].

ومع شدّة العيش وضيق الحال جاءت يوماً تسأل الرسول ﷺ فتقول له: إنما يدخل داري قليل ، وكلّه مما يأتي به الزبير ، أفأقسم منه إلى الفقراء؟.

فأجابها عليه الصلاة والسلام بأن تقسم منه إلى الفقراء وألا تُحصي ما تقسم؛ لكي لا يُحصي الله عليها[2].

وهنا يتبدّى لك العطاء والكرم مع ضيق الحال ، وهـٰذا يُعتبر من أسمى مراتب الكرم والعطاء والتقوى ، فإنك إن تُعطي شيئاً وأنت تملك غيره بما يكفيك فهـذا أمر حسن ، أما أن تُعطي شيئاً أنت تحتاج إليه ولا يكفيك فهنا يكون الكرم والجود الحقيقيان.

وكانت رضي الله عنها تقول لبناتها وأهلها: أنفقنَ وتصدّقنَ ولا تنتظرنَ الفضل ، فإنّكُنَّ إن انتظرتنَّ الفضل لم تُفضِلنَ شيئاً ، وإن تصدّقتُنَّ لن تجدنَ فقدَهُ[3].

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.

وقد جاءت إليها مرّة قتيلة بنت عبد العزّى ، وكانت امرأة لأبيها قد طلّقها الصدّيق رضي الله عنه في الجاهلية ، فأتت إليها بزبيب وسمن وتمر وخير كثير ، فأبت أسماء رضي الله عنها أن تُدخله إلى بيتها وأرسلت إلى عائشة رضي الله عنها لتسأل رسول الله ﷺ عن ذلك ، فأباح ذلك وقال: اقبلي هديّتها ، وأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٨ ـ ٩]. فكانت رضي الله عنها شديدة العفّة والورع ، شديدة الحذر من الحرام ، وما يحوم حول الحمى ، ومن ذلك أنه:

أهدى إليها المنذر بن الزبير من العراق كسوة ، وكانت امرأة كبيرة قد ذهب بصرها ، فتلمّست هـٰذه الكسوة فوجدتها رقيقة ، فقالت: أفٍ لهـذا ، فشقّ عليه الأمر ، فقال لها: يا أمّاه ، إنّه لا يشفّ عما تحته ، فقالت: وإن كان لا يشفّ فإنه يصف ، وأمرت بردّه عليه ، فأهدى إليها ثياباً ثقيلةً ، فقالت: هـٰذا حسن ، مثلَ هـٰذا فاكسوني[1].

وكانت رضي الله عنها أثناء حياة زوجها تُشارك معه في المعارك ، فكانت تُعالج الجرحى وتطهو الطعام وتسقي المياه ، وقد شاركت مع زوجها الزبير في معركة اليرموك ، وقالت: إنَّ الرجل من الكفّار يمرّ بفرسه فيتعثّر بأطناب خبائي[2] ، فيسقط على وجهه صريعاً وما مسّه سلاح. فلم تكتفِ هـٰذه المرأة الصالحة رضي الله عنها بأنها حملت أعباء الحياة مع زوجها داخل المنزل وخارجه وكانت شديدة العفّة والتقوى ، شديدة التبرّع والتصدّق مع ضيق حالها ، بل كانت تُساهم وتُشارك في الجهاد في سبيل الله نصرة للإسلام والحقّ.

وقد ورد أنها كانت شديدة الجرأة والشجاعة ، وورد أنها اتّخذت خنجراً

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الأطناب: الحبال.

تضعه تحت وسادتها عندما استعرت السرقة وانتشر اللصوص في المدينة المنوّرة في عهد سعيد بن العاص ، ويُروى أنها رضي الله عنها عندما دخل عليها ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وكان قد ذهب بصرها ، فقال لها: يا أمّاه ، إني أرى اليوم نفسي مقتولاً ، فقالت: فإذا كنت على الحقّ يا بنيَّ فامضِ ، ثمّ قالت له: هَلُمَّ إليَّ أشمَّكَ وأضمَّكَ وأودِّعَكَ ، فضمَّته وشمَّتهُ فتلمَّست منه دروعاً ، فقالت له: ما هـٰذا بحال من يطلب الموت! فقال: والله يا أمّاه ما وضعته إلاّ لأخفِّفَ عنكِ ، قالت: فانزعه إذن ، وعندما قتل الحجّاج ابن يوسف الثقفي عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: آتوني بهـذه المرأة ، فغدا إليها رسولاً فقال: إنَّ الحجّاج يأمركِ أن تأتي إليه ، فقالت:

لا والله لا أذهب إليه ، فعاد الرسول للحجّاج بذلك ، فقال: قُل لها أن تأتيَني أو أبعث إليها من يجرّها من قَرنَيها ، فجاء إليها فقال لها ذلك ، فقالت: بل يرسل لي من يجرّني من قرنَي ، فجاء إليها الحجّاج يمشي مُتبختراً ودخل عليها فقال لها: إنَّ ابنك ألحدَ وانتقم الله منه ، ما رأيك فيما صنعنا به؟.

فقالت: والله لقد رأيتُكَ قد أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك ، فإنَّ رسول الله ﷺ أخبرنا أنه يخرج من ثقيف كذّاب ومُبير[1] ، وأما الكذّاب فقد عرفناه ، وما أخال المبير إلاّ أنت ، فخرج من عندها الحجّاج ولم ينطق ببنت شفة ، ثمّ أمرت الناس أن يمشوا بها إلى حيث صُلِبَ ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، فوقفت أمامه وقالت: ألم يأن لهـذا الفارس أن يترجّل؟ فخجل الحجّاج وأمر بدفنه[2].

فإليك نموذج من نماذج النساء الصحابيّات اللواتي كُنَّ فخراً لنساء العالم بأسره ، فعلى الغربان الذين يصدحونَ بحناجرهم مطالبين بتحرير المرأة أن يتّخذوا من أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها نموذجاً للمرأة الحرّة المؤمنة الملتزمة بكتاب ربّها وسنّة نبيّها ﷺ.

---

(١) مبير: كثير السفك للدماء.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ص: ٢٥٠ وما بعدها.

وقد أوصت رضي الله عنها إذا ماتت أن يُغسّلوها ويُكفّنوها ويُحنّطوها ، وألا ينثروا على كفنها حنوطاً ولا يتّبعونها بنار ، ولعلّها تقصد بالنار نواح النوّاحات ولطم الخدود وشقّ الجيوب من الأعمال التي نهى عنها الإسلام ، بل لقد ورد أنَّ الميّت يُعذّب بهـذه الصنائع ، وقيل: إنها ماتت رضي الله عنها بعد مقتل ابنها بأيام قليلة .

* * *

المبحث الرابع

نسيبة بنت كعب (أم عمارة) رضي الله عنها

لقد كانت هـٰذه المرأة من نساء الأنصار الأفذاذ ، فكانت امرأة ولا كلّ النساء ، لقد كانت رضي الله عنها من اللواتي شهدنَ العقبة ، وبايعت رسول الله ﷺ وشهدت أُحُداً والحديبيّة وخيبر وعمرة القضاء وحُنيناً ويوم اليمامة ، وقُطِعَت يدها في ذلك اليوم ، ويظهر لك أنها كانت حاضرة في جميع الأمور الهامّة ، والملمّات الجليلة مع رسول الله ﷺ ، وقد سطّرت صفحات من البطولات النادرة التي خلّدها التاريخ ، وما زالت فخراً وقدوةً تُحتذى إلى يومنا هـٰذا ، وستبقى إن شاء الله تعالى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وكان لأم عمارة في أُحد جولات وصولات ، وقد أبلت بلاءً رائعاً فاقت فيه الكثير من الرجال ، بل إنَّ الكثير من الرجال فرّوا يوم أُحُد وثبتت أم عمارة رضي الله عنها مع نفر من أصحاب رسول الله ﷺ قلائل ، فهي من حيث الإخلاص والشجاعة تعدل خمسمائة رجل ، وقد خرجت رضي الله عنها مع المسلمين يوم أُحُد ، وكانت تُعالج الجرحى وتسقي الماء وتقوم بالخدمات الميدانية ، وكانت تصنع ذلك عندما كانت الجولة للمسلمين ، وعندما ارتدّ الأمر على المسلمين وأصبح المشركون في ظهورهم يضربونهم بسيوفهم ويطعنونهم برماحهم ، انحازت رضي الله عنها لحماية رسول الله ﷺ ، وأخذت تُقاتل عنه بالسيف وتضرب بالقوس حتّى خلصت إليها الجراح ، وذُكِرَ أنها أصيبت يومئذ باثني عشر جرحاً ، ولقد انحازت رضي الله عنها إلى حماية رسول الله ﷺ بعد أن فرَّ عنه الناس ولم يبقَ أكثر من عشرة رجال حوله ، فكانت هي وزوجها وولداها عبد الله وحبيبٌ تذودان عن رسول الله ﷺ ، والناس يمرّون بالنبيِّ ﷺ وهم يفرّون من أرض المعركة ، فنظر ﷺ فوجد أنَّ أم عمارة

لا ترس معها ، ثمّ نظر إلى أحد الفارّين فقال له : ارمِ الترس لمن يُقاتل ، فرمى ذلك الرجل الفارّ الترس فتلقّفته أم عمارة رضي الله عنها وأخذت تترّس فيه وتحمي به رسول الله ﷺ.

انظر إلى ذلك المشهد؛ أفواج وأفواج من الرجال يفرّون من أمام الأعداء وهم يمرّون بالمصطفى ﷺ ويُتابعون الفرار؛ لشدّة الفزع والخوف الذي أصابهم ، مع عِظَمِ حبّهم للمصطفى عليه الصلاة والسلام ، وكيف أنّ هٰذه المرأة فاقت جميع هؤلاء الرجال فكان حبُّها للمصطفى عليه الصلاة والسلام أكبر ، وكانت شجاعتها أعظم من هؤلاء كلّهم ، فبقيَت ثابتة بلا ترس إلى أن أمر عليه الصلاة والسلام الرجل الهارب أن يلقي بترسه إلى من يُحارب وكانت على رأس المحاربين ، فليس من المبالغة أن نقول: إنَّ أم عمارة كانت بخمسمائة رجل أو ألف أو ألفين.

لقد كان من أشرف الصحابة رضي الله عنهم هؤلاء الرجال الذين لم يفرّوا ووقفوا يحمون المصطفى عليه الصلاة والسلام من سيوف المشركين وسهامهم ، وكانت أم عمارة رضي الله عنها على رأسهم ، فوازت بذلك مكانة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وتقول رضي الله عنها: وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل ، ولو كانوا رُجَّالاً[1] مثلنا أصبناهم إن شاء الله تعالى[2].

وكان من مواقفها في ذلك المقام:

أنَّ رجلاً يمتطي فرساً أراد قتل النبي ﷺ فتصدّت له أم عمارة فلم يستطع التقدّم ، فأخذ يضربها بالسيف وهي تترّس فعجز عن قتلها ، فولّى ظهره عنها فقفزت رضي الله عنها على مؤخّرة الخيل وضربته فسقط على الأرض وتصارعت مع ذلك الرجل بالأيدي ، فصاح رسول الله ﷺ لابنها يقول: أدرك أمّك ، أدرك أمّك ، فأدركها وأعانها عليه فقتله رضي الله عنهما ، وأثناء قتال ولدها عبد الله جُرِحَ جرحاً شديداً في عضده الأيسر ، فقال له ﷺ: اعصب

---

(١) أي: على الأقدام بلا خيول.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٨ ـ ص: ٤١٢.

جُرحك ، فجاءت إليه أمّه أم عمارة رضي الله عنها وأخرجت ما تعصب به جرحها وعصبته له ، والنبي ﷺ ينظر إلى أم عمارة ثمّ يقول متعجّباً ومفتخراً بها: ومن يُطيق ما تُطيقينه يا أم عمارة؟!.

ثمَّ أقبل الرجل الذي جرح ولدها ، فقال لها ﷺ: هـٰذا مَنْ ضرب ابنك يا أم عمارة ، فتوجّهت إليه وضربته ضربة فقطعت ساقه فوقع على الأرض ، فنظرت إلى رسول الله ﷺ فرأته يبتسم حتّى بدَت نواجذه ويقول: استقددتِ يا أم عمارة ، استقددتِ يا أم عمارة ، ثمّ مازالوا به حتّى قتلوه ، فقال ﷺ: الحمد لله الذي نصركِ وأقرّ عينكِ من عدوّكِ وأراكِ ثأركِ بعينكِ.

وهـٰذا ابنها عبد الله رضي الله عنه يقول:

شهدت أُحُداً مع رسول الله ﷺ ، فلمّا تفرّق الناس دنوتُ إليه أنا وأمّي نذبُّ عنه ، فقال عليه الصلاة والسلام: ابن أم عمارة؟ قال: نعم ، قال: ارمِ ، فرميت رجلاً من المشركين بحجر فأصاب عين الفرس ، فاضطرب الفرس ، فوقع الفرس ومن عليه ، وجعلت أعلوه بالحجارة ورسول الله ﷺ ينظر إليَّ وهو يبتسم ، ثمّ نظر الجرح على عاتق أمّي فقال: أمّك ، أمّك ، اعصب جرحها بارك الله عليكما من آل بيت! مقام أمّك في الجنّة خير من مقام فلان وفلان ، رحمكم الله أهل البيت ، ومقام ربيبك (أي زوج أمّك) خير من مقام فلان وفلان ، رحمكم الله أهل البيت ، فقالت أم عمارة رضي الله عنها: ادعُ الله يا رسول الله أن نرافقك في الجنَّة ، فقال: اللهمَّ ، اجعلهم رفقائي في الجنَّة ، فقالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا[1].

انظر إلى رسول الله ﷺ نبيَّ الرحمة كيف يُشير في البداية إلى أم عمارة فيقول لها: اعصبي جرح ابنك ، ثمّ يلبث قليلاً فيراها قد جُرِحَت فيُشير إلى ولدها فيقول له: عليك بأمّك اعصب جرحها ، مع أنَّ المقام مقام خطير ، وقد سُفِكَت الكثير من الدماء والناس تسقط موتى بأعداد كثيرة ، ولمشاهد رحمته ﷺ في أحُد بالذات صور كثيرة ورائعة ، وليس المقام لذكرها هنا ، ثمّ انظر إلى

---

(١) المرجع السابق.

هٰذه المرأة التي جُرِحَت جرحاً عظيماً ، وكان يقول الناس : مكثت تتعالج من هٰذا الجرح عاماً كاملاً ، وكان قد أحدث ثقباً في كتفها رضي الله عنها بحيث إنه تدخل فيه قبضة اليد كاملة وتتغيّب داخله ، مع ذلك الجرح العظيم الذي كانت قد أصيبت به على التَّوِّ نظرت إلى رسول الله ﷺ وطلبت منه أن تكون وأهلها رفقاءه في الجنَّة ، وعندما بشّرها بذلك قالت : والله لا أبالي ما أصابني بعد اليوم ، لم تهتمَّ لآلامها ولدمائها التي تسيل ولدماء أبنائها التي تسيل أيضاً ، بل كان كلّ اهتمامها حماية رسول الله ﷺ وطلب مرافقته في الجنَّة ، هٰذا نموذج من النساء في العصر النبوي الشريف ، هٰذا نموذج من حبِّ الصحابيّات والصحابة لرسول الله ﷺ ، أين نحن اليوم من هٰذا الحبّ ، وأين نحن اليوم من هٰذه التضحية نساءً ورجالاً على السواء؟! .

أما إذا سألت عن سبب هٰذا الجرح فقد قصَّت أم عمارة رضي الله عنها قالت :

أقبل رجل على رسول الله ﷺ يُدعى (ابن قميئة) أقمأه الله ، وقد فرَّ الناس عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو ينادي بأعلى صوته : دلّوني على محمّد فلا نجوتُ إن نجا ، فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه ، وكانت رضي الله عنها وعنهم فيهم ، فقُتِلَ مصعب بن عمير رضي الله عنه ، وحالت أم عمارة بين ابن قميئة وبين رسول الله ﷺ فأخذ خنجراً وأخذ يضربها على كتفها لتفتح له الطريق ، فيُدركَ بغيتَهُ ، ولكنّها ثبتت فطعنها في كتفها عشر طعنات ، وهي ثابتة لا تتزحزح تخشى على رسول الله ﷺ أن يُصيبه ابن قميئة ، وقالت : لقد ضربته ضربات كثيرة ولكنَّ عدوَّ الله كان عليه درعان[1] .

وبعد أن رجع الناس إلى المدينة المنوّرة ونادى منادي رسول الله ﷺ بالخروج وألا يخرج إلاَّ من خرج معنا إلى أحُد ، انتفضت أم عمارة رضي الله عنها تريد الخروج مع رسول الله ﷺ فشدّت عليها ثيابها ولكنها لم تستطع لشدّة نزف الدم ، ومكث أهلها يُضمّدون جراحها ويُحاولون إيقاف نزف الدم حتّى

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : ج٨ ـ ص : ٤١٢ وما بعدها .

أصبحت ، فلما رجع ﷺ أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها فرجع يُخبره بسلامتها ، فسُرَّ عليه الصلاة والسلام لذلك سروراً عظيماً[١] .

فانظر إلى حرصها على طاعة رسول الله ﷺ بالرغم من أنها تسيل جراحها دماً ، وقد بلغت اثني عشر أو ثلاثة عشر جرحاً ، وإنّ جرح ابن قميئة الذي أصابها في كتفها يُعتبر بعشرين جرحاً ، وإذا أردنا تصنيف هـٰذه الحالة في أيامنا هـٰذه فنستطيع أن نقول: لقد كانت هـٰذه المرأة في العناية المشدّدة ، بل والأمر أخطر من ذلك ، ومع ذلك أصرّت أن تخرج مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد[٢] فأقعدها سيلان الدم .

ورُوِيَ أنَّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه جاءته مُرُوط[٣] وأثناء تفحّصها وجد الناس ثوباً نفيساً ، فقالوا: يا أمير المؤمنين ، أرسل به إلى زوجة عبد الله بن عمر ، فقال: لا والله إنما أرسله إلى خير منها ، إلى نسيبة بنت كعب ، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: والله ما التفتُّ يميناً ولا يساراً إلاَّ ورأيت أم عمارة تقاتل دوني[٤] .

وعندما أرسل رسول الله ﷺ الحباب ابن أم عمارة رضي الله عنهما إلى مسيلمة الكذّاب قال له مسيلمة: أتشهد أنَّ محمّداً رسول الله؟ قال: نعم أشهد ﷺ ، قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: إني أصَمُّ لا أسمع ، فقال له: سأُسمِعُكَ ، فأُتيَ بالجلّاد ومعه السيف ، فقال: أتشهد أنَّ محمّداً رسول الله؟ قال: نعم ﷺ ، قال: أتشهد أني رسول الله أيضاً؟ قال: إني أصَمُّ لا أسمع ، فقطع يده اليمنى ، ثم قطع يده اليسرى ، وهو يسأله فيجيبه فيقول: أشهد أنَّ محمّداً رسول الله ، وعندما يسأله عن نفسه يقول: إني أصَمُّ لا أسمع ، حتّى قُتِلَ رضي الله عنه ، فهو الصحابي ابن هـٰذه الصحابية العظيمة ، وسُرَّت أم عمارة رضي الله عنها باستشهاد ابنها وبلوغه المراتب العليا من الجنَّة ،

---

(١) المرجع السابق .

(٢) حمراء الأسد: منطقة قرب المدينة .

(٣) مروط : أثواب من صوف وخز تلبس كإزار .

(٤) المرجع السابق .

وخرجت مع المسلمين في يوم اليمامة وقاتلت قتالاً عنيفاً ، وقد اختلف الناس فيمن قتل مسيلمة الكذّاب ، فقيل: إنما اخترقه سيف أم عمارة وحربة وحشي ، وعادت رضي الله عنها وبها اثنا عشر جرحاً[1].

ومن خلال ما تقدّم من صور موثّقة تاريخياً يتبيّن لك فضل هـٰذه الصحابية وموقع الصحابيات في العصر النبوي رضي الله عنهنَّ أجمعين.

* * *

(١) الاستيعاب: عبد البر ـ ج٥ ـ ص: ٥٥٥ ، الإصابة: لابن حجر ـ ج١٣ ـ ص:١٥١ وما بعدها.

المبحث الخامس

الرُّميصاء (أم سليم) رضي الله عنها

إنَّ هـٰذه الصحابية من عداد الصحابيات الكريمات اللواتي كان لهنَّ شأن كبير ، فقد كانت في الجاهلية متزوّجة من مالك بن النَّضر ، وهي أم أنس بن مالك رضي الله عنه ، وعندما دخلت في الإسلام مخالفة بذلك أهلها وزوجها غضب منها زوجها فهجرها إلى الشام وفيها مات ، ثمّ تزوّجت بعده أبا طلحة رضي الله عنه ، وبايعت رسول الله ﷺ وشهدت الكثير من الغزوات ، وكانت تسقي المياه وتطهو الطعام وتُعالج الجرحى وما إلى ذلك ، وشاركت مع زوجها في غزوة حُنَين ، وكانت تتسلّح بخنجر قد حزمته على وسطها ، فقال زوجها أبو طلحة: يا رسول الله ، هـٰذه أم سليم اتَّخذت خنجراً ، فقالت: يا رسول الله ، اتَّخذت خنجراً فإذا اقترب مني أحد من المشركين بقرت بطنه[1].

وقد رُوِيَ أنَّ زوجها في الجاهلية مالك بن النضر كان غائباً فأتى أم أنس رضي الله عنها فقال لها: قد علمت أنك قد صبأتِ[2] فقالت: لا واللهِ ما صبأتُ إنما آمنت بهـذا الرجل (تعني رسول الله ﷺ) وأخذت تُلقِّن ابنها أنس فتقول له:

قُل: لا إله إلاّ الله ، قُل: محمّداً رسول الله ، فغضب زوجها مالك وقال: لا تفسدي عليَّ ابني ، فقالت: واللهِ إنما أصلِحُهُ ولا أفسِدُهُ ، فخرج من عندها. واختلفت الروايات في ذلك ، فقيل: غادرها إلى الشام فمات هناك ، وقيل: خرج وقُتِلَ ، قتله أعداء له ، فقالت رضي الله عنها: واللهِ لا أَفْطِمُ أنساً

---

(١) الإصابة لابن حجر: ج١٣ ـ ص: ٢٢٦ ، أسد الغابة لابن الأثير: ج٥ ـ ص: ٥٩١.

(٢) الصابئ: هو الخارج عن الدين.

عن ثديي حتى يتركه حياءً ، ولا أتزوّج حتى يأمرني أنس (وتعني ابنها الصغير الرضيع)[1] .

ويتبدّى لك مما تقدّم حرصها رضي الله عنها على دينها ، ولو أدّى ذلك الحرص إلى أن يهجرها زوجها ويُفارقها ، ويتبدّى أيضاً تمسّكها بعقيدتها ، وجرأتها في ذلك ، فقد أخذت تُلقّن ابنها رضي الله عنه شهادة التوحيد بالرغم من معارضة مالك لذلك ، ويتبدّى حنوّها على ولدها واستغناؤها عن الرجال. ورد أنها رضي الله عنها جاءها أبو طلحة خاطباً ، فقالت: إنَّ المشركين لا يُزوِّجوا من المسلمات ، ألا تعلم يا أبا طلحة أنّ إلهك ينبت من الأرض ، قال: نعم ، قالت: إذن فكيف تعبد ما ينبت من الأرض؟! .

وفي رواية قالت له: ألا تعلم أنَّ إلهك شجرة نبتت من الأرض ثمَّ نحتها عبد بني فلان (غلام حبشي)؟ فقال: نعم ، فقالت: وكيف تسجد لخشبة نحتها عبد؟! .

ومازالت تقول له ذلك حتى شهد بشهادة الحقّ ودخل في الإسلام وقالت له: لا أريد منك مهراً إلاَّ إسلامك ، فتزوَّجها على الإسلام ، فقالت: يا أنس ، قُم فزوِّج أبا طلحة ، فزوَّجها ابنها أنس ـ كما قالت[2] .

ويمكن أن تستنبط من ذلك قدرتها على المحاجّة ومنطقها الرفيع الذي تتمتّع وتتحلّى به ، وعشقها للإسلام بحيث إنها تنازلت عن المهر مقابل إسلام أبي طلحة ، وكانت تحبُّ رسول الله ﷺ حبّاً شديداً فجاءت بابنها أنس رضي الله عنه إلى النبيّ ﷺ في المدينة المنوّرة وقالت له: خُذ ابني هـٰذا خادماً لك فضعه عندك[3] .

ومن شدّة حبها لرسول الله ﷺ وحرصها على التقرُّب من الله عزّ وجلّ كانت

---

(١) الطبقات الكبرى: لابن سعد ـ ج٨ ـ ص: ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .
(٢) الإصابة: ج١٣ ـ ص: ٢٢٦ ، الطبقات: ج٨ ـ ص: ٤٢٧ .
(٣) المراجع السابقة.

إذا قال[1] عندها رسول الله ﷺ بسطت له نطعاً[2]، وكان يعرق عليه الصلاة والسلام فتأخذ هـٰذا النطع فتعصره وتستخرج منه العرق وتخلطه مع طيبها، ومرَّةً استيقظ ﷺ فوجدها تجمع عرقه وتمسحه عنه فقال: لِمَ تصنعين ذلك؟ قالت: يا رسول الله، إنه عرقك وإنني أتبرّك به وأخلطه مع الطيب، فلم يُنكر ﷺ عليها ذلك، فكانت حريصة كلّ الحرص على التبرُّكِ بالمصطفى عليه الصلاة والسلام[3].

وورد أيضاً: أنه ﷺ دخل عليها في بيتها فوجد قربة ماء فشرب من فيها، فأخذت أم سليم بِفِي القربة وقطعته واحتفظت به تبرُّكاً بالمصطفى ﷺ[4]. وعندما حلق ﷺ بمنى جمع أبو طلحة رضي الله عنه شعر النبي ﷺ وأتى به إلى أم سليم زوجته، فأخذت تخلطه مع طيبها تبرُّكاً وحبًّا.

وورد أنه عليه الصلاة والسلام كان كثير الدعاء لها، فدخل على دارها مرَّةً فقدَّمت له سمناً وتمراً فقال: أعيدوا سمنكم وتمركم فإنِّي صائم، ثمَّ قام فصلَّى في دارها ورفع يديه وأكثر لها الدُّعاء، فقالت: يا رسول الله، إنَّ ابني أنساً من أخصِّ الناس عليَّ وأحبِّهم إليَّ فأشركه في الدُّعاء، فدعا ﷺ لأنس، فكان أنس رضي الله عنه أكثر الأنصار مالاً، وأطولهم عمراً، ومات وله مائة وتسعة وعشرون ولداً من صُلبِه، وكانت دعوات الرسول ﷺ لأنس كثيرة ومنها: اللهمَّ، أطِل عمره وأكثر نسله ووسِّع رزقَه[5].

وكانت رضي الله عنها شديدة الإيمان، رابطة الجأش، مسلِّمة بقضاء الله وقدره، فكان لزوجها ابنٌ صغير يُكْنَى بأبي عُمير، وكان ﷺ يُداعبه فيقول له: يا أبا عمير ما فعل النُّغير[6]، وفي أحد الأيام مرض هـٰذا الغلام ثمَّ مات،

---

(١) قال: من القيلولة وهي المبيت للراحة في منتصف النهار.
(٢) النطع: قطعة من القماش.
(٣) الطبقات: ج٨ ـ ص: ٤٢٨.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.
(٦) النغر: طائر يُشبه العصفور وتصغيره نغير.

فأخذته أم سليم فغسَّلته وكفَّنته وأسدلت عليه ستاراً ، ثمَّ جاء أبو طلحة رضي الله عنه ، فقال: كيف حال أبي عُمير؟ فقالت: إنه في أهدأ حال ، وأعدَّت له العشاء فأكل ، ثمَّ تزيَّنت له فأصابها ما يُصيب المرأة من زوجها ، ثمَّ قالت له: يا أبا طلحة ، أرأيت لو أنَّ لقوم عاريَةً ثمّ طلبوها ، أفلا يُعْطَوْها؟ قال: نعم ، إنها حقُّهم ، قالت: إذن احتسب ابنك عند الله ، فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وذهب إلى رسول الله ﷺ فقصَّ عليه ذلك وقال له: تركتني حتَّى أكلتُ فتلطَّختُ ثمَّ أخبرتني بذلك ، فقال ﷺ: بارك الله لكما في غابر ليلتكما ، وقدّر الله أن تلد من جماع تلك الليلة عبد الله بن أبي طلحة ، فأرسلت به إلى رسول الله ﷺ ومعه قليل من التمر ، وقالت: اجعل رسول الله ﷺ يُحنِّكُهُ ، فكانت حريصة أن ينال ابنها بركة النبيِّ ﷺ ، ويكون أوّل عهده في الدنيا من الطعام تمر مخلوط بريق المصطفى ﷺ ، فذهب أبو طلحة بوليده فوضعه ﷺ وأخذ تمرة فمضغها له ثمَّ وضعها في فيهِ فأخذ الغلام يلتهمها بشوق وحبّ ، فتبسّم ﷺ وقال: أبتِ الأنصار إلاَّ حبَّ التمر ، ودعا له كثيراً[1].

وأنجب ذلك الغلام بعد أن شبَّ عشرة من الأبناء كلهم قد حفظوا القرآن الكريم ببركة دعاء رسول الله ﷺ ، وقد بشَّرها ﷺ بالجنَّة فقال: دخلت الجنَّة فسمعت خشفة (حركة) فقلت: ما هـٰذا؟ قالوا: الرُّميصَاء بنت ملحان[2].

فهـذا نموذج آخر من نماذج الصحابيات الجليلات اللواتي كُنَّ خير مثال يجدر بنساء اليوم الاقتداء به.

* * *

(١) الطبقات لابن سعد: ج٨ ـ ص: ٤٣١.
(٢) المرجع السابق.

المبحث السادس
أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها

كانت أم حرام رضي الله عنها من أشدّ الصحابيات ورعاً وتقوى وكلّهنَّ على ذلك ، وهي أخت أم سليم بنت ملحان رضي الله عنهما ، وكانت زوجة لعبادة بن الصامت رضي الله عنه ، وعبادة رضي الله عنه من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ في العقبة ، وكان ممن جمع القرآن على عهد المصطفى ﷺ[1] .

كانت رضي الله عنها من المجاهدات في سبيل الله ، وكان عليه الصلاة والسلام يزورها في بيتها هي وزوجها ، ومرّة قال (أي القيلولة) ﷺ عندهم ، فغطَّ في نوم عميق ، ثمَّ استيقظ وهو يبتسم ، فقالت أم حرام: ما الذي أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: إنما أضحكني لقد رأيت رجالاً من أمتي يركبون البحر الأخضر يخوضون في سبيل الله ، ثمَّ نام ﷺ فاستيقظ وهو يضحك ، فقالت: ما الذي يُضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: لقد رأيت أناساً يركبون في البحر الأخضر كأنهم يركبون على أسِرَّة ، يُجاهدون في سبيل الله ، فقالت: ادعُ ليَ الله أن أكون معهم ، فقال عليه الصلاة والسلام: أنت من الأوَّلين[2] .

ومضت هٰذه القصة وتوفِّيَ ﷺ ومرَّت عشرات السنين ، وعندما غزا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه جزيرة قبرص خرج وركب في البحر ، وكانت أم حرام رضي الله عنها من المجاهدات ، وكانت مع زوجها عبادة بن

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٨ ـ ص: ٤٣٥ ، أسد الغابة لابن الأثير: ج٥ ـ ص: ٤٥٧ ، الإصابة لابن حجر: ج١٣ ـ ص: ١٩٣ .

(٢) المراجع السابقة.

الصامت ـ ورؤيا الأنبياء حقّ ـ وما إن هبطت على البر وركبت دابّة حتّى تعثّرت بها الدابّة فوقعت واستشهدت رضي الله عنها ودُفِنَت في جزيرة قبرص[1] ، فكانت أوّل شهيدة في الإسلام في غزو البحر ، فصدق الذي لا ينطق عن الهوى عندما قال لها: أنت من الأوّلين.

ومن الأمور المضحكة المبكية أنَّ رجلاً في أيامنا هـٰذه زار قبرص فقال له أهل تلك البلاد: إنَّ لدينا ضريح امرأة صالحة تُدعى أم حرام ، وهي امرأة صالحة والقبارصة يزورون ضريحها اليوم ويتبرّكون فيها ، فقال ذلك المسلم العربي: لا أعرف شيئاً يُسمّى أم حرام ، وإنما لدينا في الشريعة الإسلامية حلال وحرام!.

فانظر إلى هـٰذا الدرك الأسفل من الثقافة الإسلامية والبعد السحيق والجهل الفاحش بتاريخنا الإسلامي ، ولا سيّما عن عصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدون ، إنَّ هـٰذا الرجل وأمثاله من الرجال والنساء أيضاً يعرفونَ الكثير من أماكن اللهو في أوروبة وأمريكا وأصقاع أسترالية ، وإنّ النساء يعرفنَ جميع دور الأزياء الفرنسية والإيطالية ، ولكنهن لا يعرفن شيئاً عن أم حرام ولا عن نسيبة بنت كعب رضي الله عنهما!!.

فيجب على المرء ألا يتعجَّب لحال هـٰذه الأمة الإسلامية من الضعف والذُلّ ، وعلى الفَطِن أيضاً أن يتوقّع مزيداً من الضعف والذُلّ والمهانة طالما استمرّت الأوضاع على ما هي عليه اليوم ، وهاهنَّ النسوة المسلمات المنتسبات إلى هـٰذه الأمة قد ملأنَ السواحل العربية متعرِّيات متبرِّجات قد أظهرنَ مفاتنهنَّ ، ورجالهن يطوفون حولهن متفاخرين بعورات نسائهم المثيرات!.

وكاد الزنى أن يكون على قارعة الطريق كما هو الحال في الحدائق العامّة ، فليس من العجب أن ترى شابّاً مسلماً في دمشق مثلاً يُعانق فتاةً مسلمةً في حديقة

---

(١) جزيرة قبرص: جزيرة صغيرة في شمال البحر الأبيض المتوسط ، مقسّمة حالياً بين الأتراك واليونان.

عامّة أمام جميع الناس! أما إذا كانت الحديقة شاسعة وفيها مناطق قليلة الحركة فستشاهد مناظر أكثر وقاحة وحيوانية ، وكلّما ازددنا في الخسّة ازداد الأعداء علينا تجرّؤاً ، وهاهم اليوم قد احتلّوا العراق احتلالاً عسكرياً ويُجاهرون في أروقة الأمم المتحدة ويقولون: نحن قوّات احتلال يجب أن تُصنّفوا وجودنا في العراق كقوّة احتلال ، والحال لا يخفى على القاصي والداني في فلسطين. ولقد غدت القواعد العسكرية الصليبيّة متواجدة في شتّى بقاع العالم الإسلامي من المغرب العربي غرباً إلى الباكستان شرقاً مروراً بالحجاز ، هـٰذا واقع الأمة العربية والإسلامية اليوم ، وهـٰذا واقع نسائها اليوم ، وقد تقدّم واقع النساء المسلمات في عصر النبوّة ، وبعد جهد يسير وشيء من المُقارنة يتَّضِح لك سبب ما نحن فيه وعلينا أن نستعدَّ لما هو أدهى وأشقى وأمرُّ طالما نحن على ما نحن عليه ، ولا أقول إلاَّ: حسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *